رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد التاسع
ايلول (سبتمبر) ١٩٥٧
السنة الخامسة

No. 9. Sep. 1957
5ème année

ثائرون ... في كل مكان !

بقلم محمد النقاش

منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، حتى لا نذهب الى ابعد من ذلك ، وعالمنا العربي يتململ ويتقلب ، شأن مارد تلقى بضع ضربات افقدته الرشد ، وشد وثاقه ، فلما افاق واستعاد وعيه ، راح يحاول التخلص من قيوده واغلاله . لكن الخصوم من حوله لم يكونوا قد اخلوا الساحة ، ولو انهم صاروا اكثر احتشاما في تسديد الضربات ، ولم يعودوا عصابة منسجمة متفاهمة يرفع الرئيس يده فيصدعون .. كما ان المارد الصريع كسب بعض العطف ، واستطاع ان يفيد بعض الشيء من خلافات الخصوم ...

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية التي ادخلت على مسرح السياسة الدولية قوتين جديدتين احتلتا مكان الكواكب ، وازاحتا الدولتين اللتين جثمتا على صدر المارد العربي زمنا غير قصير ، استطاع هذا المارد ان يقف على رجليه ، وما زال في رأسه آثار دوار ، وفي جسمه آثار جراح لما تندمل من جراب الاستعمار وعهود الانحطاط ، وفي قدميه بقايا سلاسل .. لكنه وقف وراح يتلمس طريقه للانطلاق والمسير .

وفجأة، سددت اليه ضربة جديدة هائلة ، في تحد واستفزاز لم يسبق لهما مثيل في التاريخ .. الضربة الغربية بقفاز صهيوني .. فاهتز المارد اهتزازا عنيفا ، كمن اصابه مس من كهرباء ، وانتفض انتفاضة كبرى ، ومشى ... لا يدري تماما الى اين ، لكنه مشى .

***

بعد قيام اسرائيل ، انتقل العالم العربي انتقالا تاما من حالة الركود ، الى حالة الحركة ، في دينامية مدهشة لم يعرف مثلها الا ابان نهضته الاولى ، وانطلاقته العجيبة في دروب التاريخ

العالم العربي اليوم في ثورة متأججة ، ثورة تتخذ طابعا خاصا في كل جنب من جنباته وزاوية من زواياه ، ثورة على الاستعمار هنا ... ثورة على الرجعية هناك .. ثورة على الظلم والطغيان هنالك .. وتختلف الوسائل في كل مكان ، وتختلف الاساليب . فهي بيضاء هنا ، حمراء هناك، بين هنالك . لكنها ثورة حيثما كانت .

هذه الثورة، هذه الثورات الآخذة بعضها برقاب بعض، في سائر اقطار العرب ، وفي القطر الواحد ، هي بمثابة مخاض كبير ، عن قومية عربية تقدمية متحررة خيرة ، تنشد التبلور في وحدة شاملة ، تشيع الانسجام في جزء كبير من العالم الاسيوي — الافريقي ، وتسهم في اقرار سلام يشمل العالم كله .

محصول هذه الثورة حتى الان جيد : عشر دول فازت بالوضع الاستقلالي الذي يفتح امامها جميعا طريق الاستقلال التام ، وقد تحقق هذا الاستقلال فعلا في بعضها . عرشان. احدهما فاسد ، والآخر بال ، انهارا لتقوم على اطلالهما جمهوريتان فتيتان . قوة عسكرية اذا قيست بما مضى ، وهو العدم او شبه العدم — فهي قوة محترمة . اقبال على التعلم والتخصص . نصر في الحقل الاجتماعي، نهضة عمالية، توزيع الاراضي على الفلاحين غير المالكين ، الغاء المحاكم الشرعية في مصر ، الغاء تعدد الزوجات في تونس .

واهم من هذا وذاك ، تجاوب شعبي زاخر في دنيا العرب من اقصاها الى اقصاها ، للتضامن والتكاتف في سبيل تحقيق اهداف هذه الثورة الشاملة ، تحت لواء القومية العربية .

وبديهي ان مثل هذه الثورة التي تحاول قلب عالم برمته ، لا تنتقل دائما من نصر الى نصر ، بل تعاني نكسات وردات .

السياسة العربية في شهر

فالقوى المستهدفة لا تقف مكتوفة الايدي ، فالاستعمار والصهيونية التي هي اشد الوانه صراخا، والاقطاع والرجعية بكل مصادرها واشكالها ، تعمل على صد هذه الثورة ، على قهرها ودحرها .

وقد يكتب لها احيانا نصر موقت . لكن الكلمة العليا ما زالت للثورة ، ما زالت لهذا الانطلاق المحموم نحو الحرية والتقدم .

ولنحاول الآن ، ان نستعرض حال هذه الثورة في وثباتها وكبواتها ، خلال الديار العربية .

سوريا

لا ريب ان المخاض الكبير يتجلى اكثر ما يتجلى اليوم في سوريا ، فهذا القطر الذي عاونت جهاده ظروف دولية ، ففاز مع لبنان بالاستقلال قبل سائر الاقطار العربية الخاضعة لنوع من انواع النفوذ الاجنبي ، آمن باستقلاله منذ اللحظة الاولى . وادرك ان عليه صيانته ، من اجله هو ومن اجل بقية البلدان الشقيقة ، وهكذا بدا ضنينا به ، حريصا عليه ، بكثير من التزمت ، حتى انه رفض المعونة الاميركية على اساس النقطة الرابعة، ووقف في وجه جميع المحاولات التي دبرها الاستعمار للحد من استقلاله، حتى انه ـ وهو الذي نص دستوره على انه ما من علم يرتفع فوق علمه الا علم الوحدة العربية ، وهو الذي طالما تاق الى اتحاد مع العراق ـ رفض العرض العراقي بالاتحاد ، حين راى فيه اداة مستترة لعودة النفوذ الاجنبي الى ربوعه .

ثم ان سوريا كانت اكثر البلدان العربية تأثرا بالكارثة الفلسطينية ، واشدها تحسسا بها ، فقامت فيها سلسلة من الانقلابات ، جعلت الحكم غير مستقر . لكن بالرغم من عدم الاستقرار هذا ، وبالرغم من تقلب انواع شتى من الحكم عليها خلال تسع سنوات ، مما يجعلها هدفا سهلا للمؤامرات الاستعمارية ، فان سوريا بقيت صاعدة ، وكانت وطنية حكامها العسكريين او المدنيين المستمدة من صميم الشعب العربي فيها ، تحبط تلك المؤامرات ، وتنتصر عليها .

وكانت سوريا اول من رفع راية التحرر على الغرب ، لا برفضها النقطة الرابعة الاميركية والاتحاد العراقي المفلفل بتوابل بريطانية فحسب ، وانما بمد يدها الى يوغوسلافيا تستعين باحدى شركاتها على بناء مرفأ اللاذقية، وعقد اول صفقة اسلحة سرية مع تشيكوسلوفاكيا .. ثم بفسحها المجال امام شيوعي بارز هو السيد خالد بكداش ان يصبح نائبا ، في انتخابات عامة حرة .

وازدادت سوريا عنادا وتمردا ، يوم قامت ثورة مصر ، فعرفت منذ اللحظة الاولى اي خير لمصر وللعروبة جمعاء من وراء هذه الثورة . وتحالفت معها تحالفا قلبيا وثيقا . فلما كانت المؤامرة الجديدة بحلف بغداد ، لغل يدي سوريا ، صمدت سوريا مع مصر ، واحبطتا المحاولة . ثم كانت اكبر عون لمصر في المحنة التي عانتها اثناء ازمة السويس . ودشن البلدان ، بعد ان استمالا السعودية والاردن ، سياسة الحياد الايجابي .

وظهر ان هذه السياسة تحد جديد للغرب . فاميركا زعيمة العالم الغربي ، لم تهضم هذا الحياد . وراحت ، وهي تتقدم بمشروع ايزنهور المعادي للمعسكر الشرقي ـ تضع مصر وسوريا امام مخرجين : اما معنا ، واما علينا .

ويشهد الله ان سوريا ـ ما دام الكلام هنا على سوريا ـ تمسكت بالحياد ما وسعها ذلك ، هذا اذا اعتبرنا طلبها للعون الاقتصادي السوفياتي ضربا من الانحياز . وهي التي سبق لها ان رفضت حتى النقد الى اذاعة ـ سوريا لكن الغرب الذي كان يستهدف عزل مصر ، شدد النكير على سوريا ، وفرض عليها ضغطا اقتصاديا مريرا ، حتى ان فرنسا رفضت شراء القمح السوري الذي تحتاج اليه ، واحاطها بدول موالية كلها له ، بعد نجاح مؤامرته في الاردن ، ازاء هذا الضغط السياسي والاقتصادي المزدوج ، بل الضغط العسكري تارة من اسرائيل ، وتارة من تركيا ، واخيرا من الاردن نفسه ، على لسان عميل الاميركان سمير الرفاعي ـ لم تجد سوريا مفرا من طرق بابموسكو ، اذا هي ابت ان تركع امام الغرب .

ورحبت موسكو بالطلب ، وفتحت ذراعيها ، وبسطت يدها ..

وعاد الوفد السوري من موسكو وبراغ ، حاملا اتفاقات مبدئية حول مساعدات اقتصادية وفنية كفيلة بان ترفع كابوس الغرب عن سوريا ، وان تفتح لها طريق التقدم والقوة .

بديهي ان الاتحاد السوفياتي لم يفرض شروطا سياسية على سوريا لقاء مساعداته ، لم يطلب مثلا مكافحة الرأسمالية الدولية ، او الديمقراطية الغربية .. لكن لن نغالط انفسنا ، فترغم ان علاقات دمشق بواشنطن مثلا ، يمكن ان تبقى مساوية لعلاقاتها بموسكو ، بعد هذا الاتفاق ،لاسيما وان الغرب الذي ابى على سوريا مجرد الحياد بين المعسكرين ، لن يغتبط برؤية بلد عربي له اهميته الكبرى في الشرق الاوسط يتلقى المساعدات السوفياتية . ولا بد له ان يضاعف جهوده للقضاء على سياسة سوريا الجديدة .

وهذا ما تنبه له المسئولون السوريون ، فاحدثوا تغييرات هامة في قيادة الجيش وقوى الامن الداخلي.

وليس عندنا شك ، سواء اثبتت المؤامرة الاميركية مع الشيشكلي والحسيني بحذافيرها ام لم تثبت ، لا شك عندنا في ان اميركا ـ ولها سابقة في الاردن ـ لم تكن تقف موقف المتفرج في دمشق .

ولما كانت سوريا لا تخلو من عناصر موالية للغرب، او عناصر اثرت فيها دعاية الغرب من ان سوريا تسير نحو الشيوعية ـ ونحن لا نرى اية علاقة بين قبول العون السوفياتي وانتشار الشيوعية في سوريا ـ فلا بد من نشوب صراع داخلي ولو في الخفاء بين التقدميين السوريين والمحافظين .

ونعتقد انه بقدر ما يتشدد المحافظون ، بقدر ما يكون رد الفعل قويا عند التقدميين .

وفي رأينا انه اذا ما كتب النجاح للخطوة السورية الجديدة المليئة بالجرأة ـ وهو مكتوب لها ان شاء الله ـ فلن تسفر عن سوريا شيوعية، بل عن سوريا قومية عربية ، ذات اتجاه اشتراكي ، يرفع مستوى الفرد والجماعة في سوريا ، ويجعل من سوريا وحدها في بضع سنوات ، قوة حقيقية حية كافية لكبح جماح اسرائيل ، وشل خطرها الى الابد .

ان الخطر الاسرائيلي المخيف لا يهزم بقادة من البدو ، ولا بزعامات سياسية منحلة ، ولا باساليب حياة تقوم على الميعان والتخاذل ، ولا بقوى رجعية متهرئة .. انه خطر شاب ، خطر عصري بكل ما في روح العصر من قوة . ولن تهزمه الا قوى عربية شابة جديدة ، تتسلح بالعلم والبسالة ، وتؤمن بالتطور .

وهذه القوى هي التي تنشط اليوم في سوريا ، وتقود الدفة .

مصر

هذه القوة نفسها تقود فعلا في مصر ، منذ خمس سنوات . وتبدو اكثر استقرار على الدفة منها في سوريا . فالتطهير الذي تبداه سوريا اليوم،

التطهير على نطاق واسع ، حققته مصر خلال خمس سنوات. وليس في مجلسها النيابي الا وجوه جديدة آمنت بالثورة وتجندت لخدمتها . كما ان اجهزتها في الجيش والادارة سليمة لا تفسح خطا من النجاح لاية مؤامرة اجنبية او غير اجنبية .

النجاح الوحيد في مصر هو للثورة ، باهدافها العربية والمحلية ، وان الخطابين اللذين القاهما الرئيس عبد الناصر في ذكراها الخامسة ، احدهما امام مجلس الامة ، والاخر امام الجماهير في الاسكندرية ، عبرا عن ثقة بالنفس لا حد لها ، وابرز دليل على ذلك ، ذلك التحدي الصارخ الذي قذف به الرئيس في وجوه الخونة والمنحرفين من رجالات العرب ، اذ اعلن ان لا تضامن معهم ولا اتفاق. فمصر ـ الثورة لا تخشى العزلة، لان الشعب العربي معها في كل مكان . وان كانت تخشى شيئا ، فهو ادخال حصان طروادة الى صفها المتراص .

وهكذا ، بعد تجارب قاسية وانتصارات باهرة ، اثبت الزعيم المصري انه ـ وقد اصبح رجل دولة من الطراز الاول ـ ما زال يطل ثورة، وان للمباديء والمثل العليا في نظره المكانة الاولى . فمصر لن تضع يدها الا في ايدي الخلص وحدهم .

لبنان

الثورة في لبنان ، تتجلى في المعارضة ، المعارضة الشعبية التي تزيد حتما عن نصف اهل البلد ، والمعارضة البرلمانية التي استطاعت ، رغم ما دبر في الانتخابات ، ان تنتزع عشرين مقعدا من اصل ستة وستين .

ومن يعرف تاريخ لبنان الحديث يدرك اية اهمية واي وزن لمثل هذه المعارضة في البرلمان اللبناني ، لاسيما حين تستند الى كثرة شعبية ، ففي عام ١٩٥٢ ، لم يكن يزيد عدد المعارضين عن ثمانية او تسعة في مجلس يضم سبعة وسبعين نائبا . ومع ذلك استطاعت هذه القلة ان تحدث انقلابا ...

ان لبنان يعاني اليوم وعكة لم يمر بمثلها منذ استقلاله . فاكثر من نصف سكانه ناقمون على سياسته الخارجية . وهم لا يغفرون للمسئولين انهم انحازوا الى الغرب ، ودماء اخوانهم المصريين لما تجف في سيناء وبور سعيد . ولا يغفرون للمسئولين هذا السبق البطولي في اعتناق مبدأ ايزنهاور ، قبل سائر الدول العربية . فسياسة التسوية التي نهض عليها لبنان عام ١٩٤٣ ، وكرست له كيانا مستقرا بموجب ما يدعى الميثاق الوطني ، فرضت على لبنان ان ينضم الى الاسرة العربية ، وان يندمج فيها لا ان يكون قائدا لها كما اراد الدكتور شارل مالك ... وان لا يكون رأس جسر للاستعمار باي شكل من الاشكال ، وكان المغفور له رياض الصلح في القضايا العربية الخطيرة ، يعبر عن هذه السياسة التقليدية التي التزم بها لبنان الى ان ذر قرن السياسة المالكية ، يعبر عنها بقوله : « لبنان اول من اطاع ، وآخر من عصى » . هكذا ، لما تم توقيع الهدنة مع اسرائيل ، كان لبنان آخر من وقع ..

وخرق هذه السياسة التقليدية هو الذي احدث الوعكة ، وعكة يحس الحاكمون انفسهم بخطر عواقبها ...

واذا شئنا وضع النقاط على الحروف ، قلنا ان المسلمين في لبنان ـ او اكثريتهم على الاقل ـ وقد ضحوا بالوحدة السورية يوم ارتضوا الكيان اللبناني ، وقبلوا ان يعيشوا اقلية رسمية في لبنان ، متنازلين عن طلب الاحصاء العام الذي من شأنه ان يثبت انهم اكثرية في الواقع ، وتخلوا عن كثير من حقوقهم في مناصب الدولة ، اي عن كثير من مصالحهم المادية ، انما فعلوا ذلك وعزاؤهم الوحيد ان لبنان اعتنق سياسة الاستقلال عن الاجنبي ، وسار في ركب العروبة . فاذا نكبوا بمثلهم الاعلى هذا ، بعزائهم الوحيد ، فليس طبيعيا ان يسكتوا طويلا على خسارة كل شيء ...

ومتى علمنا ان اقطابا وافرادا مسيحيين كثيرين يماشونهم في هذه السياسة ، ويعلمون ان مصلحة لبنان هي اولا في التجاوب مع العروبة المتحررة ، ثبت لنا ان الحركات الطائفية مستبعدة حتما . وان المعارضة للسياسة المالكية ـ الايزنهورية ستجد دائما طابعا قوميا يجمع لبنانيين من مختلف الطوائف .

وهذا ما يدعو الرسميين الى التفكير مليا في الحالة . ويدفعهم الى استرضاء المعارضين بكل وسيلة . حتى قيل ان البيان الوزاري لحكومة سامي الصلح الجديدة ـ ولم يكن صدر عند كتابة هذه السطور ـ ربما نص على ان لبنان يقبل المساعدات الاميركية على اساس النقطة الرابعة فقط ، لا على اساس مبدأ ايزنهور...

عمان

اسم جديد اقتحم الاذاعات العالمية والاوساط الدولية . لعل القليلين سمعوا به من قبل .. عمان الضائعة في مجاهل الجزيرة العربية ، تريد هي الاخرى ان تتحرر .

ليس يهمنا انه قد يكون وراء ثورة عمان على سلطان مسقط الموالي للبريطانيين ، قصة نفطية .. فاكثر الحركات الاستقلالية عبر التاريخ كان وراءها قصة خبز او قصة شركة احتكارية ... المهم ان مجاهدي عمان امتشقوا السلاح دون ان يكون في صفهم جندي اجنبي واحد ، شان جنود سلطان مسقط التابع للانكليز ، وهبوا يحاولون انتزاع استقلالهم بسواعدهم .

وثورة عمان ، سواء استطاع البريطانيون اخمادها، بطائراتهم وصواريخهم وجندهم ام لم يستطيعوا ،فشرارة الثورة، شرارة القومية العربية المتحررة ، تطايرت في ما يسمونه المحميات ـ هذا الحزام الذي تستولي عليه بريطانيا جنوب جزيرة العرب ـ وهي شرارة لن تنطفيء بعد اليوم .

محمد النقاش

حاشية ـ تلافيا للاطالة ، وقفنا الاستعراض عند هذا الحد ، مع العلم بان الثورة العربية التي تضطرم بشكل رائع خليق بأمجد شعب، والتي تخبو نارها مثلا في الاردن والعراق ، هذه الثورة لا تقتصر على ما سردناه اعلاه.

م.ن.

في المكتبات

الربيع المر

مجموعة قصص
من صميم الحياة العربية

بقلم الدكتور
سهيل ادريس

منشورات دار الآداب
بيروت ص.ب. ٤١٢٣